اغلاط العرب

(تابع لما قبل)

وقال الآخر

ومَن يتَّقْ فان الله معهُ ورزق الله مؤتابٌ وغادِ

سكّن القاف من قولهِ يتَّقِ بعد حذف آخرهِ للجزم قال صاحب الصحاح فادخل جزماً على جزمٍ للضرورة . قال في لسان العرب وقال ابن سيده اراد يتَّقِ اي بكسر القاف فاجرى « تقِفَ » من « يتَّقِ فإِنَّ » مجرى عَلِمَ نخفف كقولهم علْمَ في علِمَ . اه . ومعنى هذا ان الشاعر توهم انهُ لو اقتُطعت التآء والقاف من « يتَّقِ » وضُمَّت اليهما الفآء من « فإِنَّ » كان مجموع هذه الاحرف الثلاثة « تقِفَ » وهو بوزن عَلِمَ وقد جآء في بعض لغاتهم وهي لغة بكر بن وائل تسكين عين فَعِلَ المكسور فيقولون في عَلِمَ علْمَ فسكَّن القاف من « يتَّقِ » لوقوعها من « تقِفَ » موقع اللام من علِمَ . فتأمل بعيشك هذا التمحل الغريب وتصوَّر في نفسك شاعراً قد جمع قريحتهُ للنظم فبينا هو يناجي طبعهُ ويطوف على اجنحة خيالهِ يرتاد معنًى من المعاني الفخيمة ويتخير لهُ من خزائن لفظهِ القالب اللائق لتمثيلهِ اذا هو يتفقد مقاطع حروفهِ وهجآء كلماتهِ ويقتطع شيئاً من هذه اللفظة وشيئاً من تلك فيركب منهما لفظةً لا معنى لها ثم يطوف بهذه اللفظة على قبائل العرب لينظر كيف يُنطَق بها في كل لغةٍ من لغاتهم . لا جرم ان هذا لمما لا يكاد يتفرغ لهُ اصحاب الالغاز والمعميات من صيارفة اللفظ فضلاً عن الشاعر الجاهليّ او المولَّد . وانت خبيرٌ بان شعرآء الجاهلية لم يكونوا

يلتفتون الى تقطيع الاجزآء الطبيعية في الشعر وقد لا يتوهمونها اصلاً فما ظنك بتفصيل اجزآء الكلم هذا التفصيل الغريب وتلفيق بعض حروفها الى بعض واين محل هذا التكلف الشاق من بداهة الشاعر واندفاع عارضته في النظم . ويا عجبا لمَ لا نقول ان الشاعر اضطرّ الى اسقاط حركةٍ من بيتهِ فسكن هذا الحرف بحكم الضرورة كما قالهُ صاحب الصحاح وهو الوجه المعقول الذي لا غبار عليهِ ولا تعسُّف فيهِ . ومثل هذا قولهم في قول الآخر

تقول ألا تمْسِكْ عليَّ فانني ... ارى المال عند المالكين معبَّدا

قال في لسان العرب سكّن آخر تمسك لانهُ توهم « سِكُعَ » من « تمُسِكُ عليَّ » وهو بنآء فيهِ ضمةٌ بعد كسرة وذلك مستثقل فسكّن كقول جرير

سيروا بني العمّ فالاهواز منزلكم ... ونهر تيرَى ولا تعرِفْكمُ العربُ

انتهى كلامهُ . ويعني انهُ لو ضُمّت الكاف من « تُمسِك » في البيت الاول لاجتمع من السين والكاف مع عين « عَلَيَّ » لفظ سِكُعَ بضم الكاف بعد السين المكسورة وكذا لو ضمت الفآء من « تعرفكم » في البيت الثاني لجآء هناك لفظ « رِفُكُ » وفيهِ ايضاً ضمة بعد كسرة فلذا سكّن الشاعران آخر المضارع ولا ضرورة في البيتين . والظاهر انهُ ينبغي ان يحمل على هذا قول عمر بن ابي ربيعة

وقلت لها لو يسلك الناس وادياً ... وتحينَ نحو الشرق عما تيمموا
لكلفني قلبي أُتابعْك انني ... بذكراكِ اخرى الدهر صبٌّ متيَّمُ

على ان هذا فيهِ زيادةٌ على ذلك حذف الناصب قبل الفعل ولعلَّ لهُ وجهاً آخر يخرجهُ عن الضرورة . لكن على فرض صحة ذلك كلهِ فما العذر

في قول امرئ القيس

فاليوم أشربْ غيرمستحقبٍ ... اثماً من الله ولا واغلِ

فانهُ سكن البآء من اشرب من غير ان يجيءَ هناك شيءٌ على وزن علِمَ ولا ما يشبه « سكُعَ » ولا « رفُكُ » . ومثلهُ قول عديّ بن زيد

فهل لك ان تداركَ ما لدينا ... ولا تُغلَبْ على الرأي المصيبِ

سكن آخر تُغلب وهو معطوف على تدارك المنصوب او مرفوعٌ على الاستئناف . وبعد فاذا كان كل موضعٍ في الكلام اتفق ان يتوالى فيهِ مثل حركات علِمَ او يقع فيهِ الضمّ بعد كسر يجوز فيهِ التسكين وان لم يكن ثمّ ضرورة لزم ان نطلق هذا الحكم في النظم والنثر على السوآء وحينئذٍ يعرض لنا مثل قولهِ « انهُ من يتّقِ ويصبر » فانهُ يُستخرَج منهُ لفظ « تقِوَ » وهو ادعى الى الاسكان لمكان الواو بعد القاف . ومثلهُ قولهُ انها لمِنَ الغابرين .. فنتّبِعَ آياتك .. انفروا خفافاً وثِقالاً .. الى الجنّة والمغفرة .. وهو الذي انزلَ مِنَ السمآء مآءً .. والامثلة من ذلك كثيرة . وكذا قولهُ ونحن نسبّحُ بحمدك ونقدِّسُ لك .. تعرِفُهُم بسيماهم .. ومنها نخرِجُكم .. والله يريد بِكمُ اليسر .. يجادِلُنا في قوم لوط .. ومن الناس من يعجبُكَ قولهُ .. ويحذِّرُكَ الله نفسهُ .. الى غير ذلك مما لا يُحصى ولا شك ان التسكين لا يجوز في شيءٍ من ذلك ولا فيما يماثلهُ في اي كلامٍ وقع . وربما عكسوا فحركوا الساكن في غير حدّهِ كقول الآخر

ألا رُبَّ مولودٍ وليس لهُ ابٌ ... وذي ولدٍ لم يَلْدَهُ أبوانِ

اراد لم يلِدْهُ بكسر اللام وسكون الدال فاضطرّهُ الوزن فسكّن اللام وحرّك

الدال بالفتح او بالضم فصار كانهُ من لَدِيَ يلدَى او من لدا يلدو . ونحوهُ قول كعب بن مالك

لقد لقيت قُرَيظة ما سآها　　وحلَّ بدارها ذلٌّ ذليلُ

يريد ساءها المهموز الآخر فجاء بالفعل على سأى مثال سعى على ان الخطب في هذا اسهل لان حرف العلة والهمزة كثيراً ما يتعاوران . وقال الآخر

ألا لا باركَ اللهُ في سُهَيلٍ　　اذا ما اللهُ باركَ في الرجالِ

قال في لسان العرب انما اراد الله فقصر ضرورةً . وقال الاعشى

كحلفةٍ من ابي رياحٍ　　يسمعها اللاهُمَ الكُبارُ

الكُبار بالضم والتخفيف بمعنى الكبير وقولهُ اللاهُمَ بضم الهاء وفتح الميم ويُروَى لاهُمَ بدون ال يريد اسم الجلالة فخفف الميم واستعملهُ فاعلاً ليسمع ونعتهُ بالكُبار وكل ذلك غلط لان هذا الاسم لا يستعمل الاّ في النداء ولا يجوز نعتهُ نصّ على هذا الاخير سيبويه . ومنهم من روى لاههُ الكُبارُ اي الههُ واستدلّوا بهذا على اشتقاق اسم الجلالة من لاه يليه اي تستّر كما فسرهُ في الصحاح وقال في لسان العرب وحكى بعضهم لاه الله الخلق يلوههم خلقهم قال وذلك غير معروف . اهـ . وكلاهما ليس بشيء فان الهمزة في اله من اصل الوضع كما يدل عليهِ هذا اللفظ في سائر اللغات السامية وهو يدور فيها بين ايل وايليون والاه والوه والوهيم وانما حذفت من لفظ الجلالة تخفيفاً كما هو المذهب المشهور . واصل معنى ايل القدرة والسلطان ثم استعملوهُ بمعنى البَطَل القاهر ثم نقلوهُ الى معنى واجب الوجود

(ستأتي البقية)

الاختمار

لحضرة الكاتب البارع نقولا افندي الحداد

(تابع لما في الجزء السابق)

اختمار العنب — معلوم ان مستقطري الخمور يمرثون العنب ويحفظونهُ في حياض الى اجلٍ معلوم وعند حلول الاجل يشتمّون رائحة الكحل في عصيرهِ واذا ذاقوهُ استطعموا بحموضةٍ بدل الحلاوة المعهودة فيهِ فيستقطرونه

اما سبب ذلك التغيُّر فهو ان بُزَيرات نوعٍ من الجراثيم [1] التي يحدث عنها هذا الاختمار تجد في عصارة العنب منبتاً صالحاً لها فتنبت وتنمو وتتوالد وتكثر . وفي اثنآء اغتذآئها تحلّ المادة السكرية التي في عصير العِنَب الى مادتين مختلفتي الخواص الاولى الكحل او روح الخمر والثانية غاز الحامض الكربونيك

وهذا الغاز تتألف دقائقهُ من جوهر من الكربون وجوهرين من الاكسيجين وهو بلا لون ولا رائحة ولا طعم وثقلهُ يزيد على ثقل الهوآء ولكنهُ يمتزج بهِ كما تمتزج الصهبآء بالمآء فان دقائقهُ المنفصلة عن دقائق الكحل تطفو على سطح العصير في فقاقيع الرغوة التي ترسب في الحياض وتتفلت تدريجاً من تلك الفقاقيع وتمتزج بالهوآء وتنتشر فيهِ

اما الكحل فهو سائل اخف من المآء ولكنهُ يبقى ممتزجاً بمآء العنب الذي كانت المادة السكرية ذائبةً فيهِ . وبما انهُ يتبخر على درجة من الحرارة ادنى من الدرجة التي يتبخر عليها المآء فهو اول ما يحصل في اثنآء الاستقطار

---

(١) Saccharomyces ellipsoïdaux

ولو وُفّقنا الى طريقةٍ لتركيب الكحل وغاز الحامض الكربونيك معاً تركيباً كيماوياً لأعدنا المادة السكرية كما كانت في العنب لان الجواهر الفردة التي تألّف منها غاز الحامض الكربونيك والكحل هي نفس الجواهر الفردة التي تألف منها سكر العنب

والجراثيم المذكورة التي تعيش في عصير العنب على نوعين احدهما يعيش في اسفلَ الحوض وهو جراثيم بيضية الشكل قسمٌ منها يستقلّ بعضهُ عن بعض وقسمٌ آخر يتألب معاً في سلاسل طويلة واحياناً في سلاسل متشعبة وفي كل جرثومة ثلاث او اربع بُزَيرات . وهي تعيش في حرارة لا تقلّ عن اربع درجات من السنتغراد ولا تزيد على عشر درجات . والنوع الآخر يعيش على سطح العصير في حرارةٍ بين ٤ درجات و ٢٠ درجة من السنتغراد وهو كرويّ الشكل واكبر حجماً من تلك وكل سلاسله متشعبة ولهذا ترى سطح العصير مبطناً بغشآء رقيق منهُ

واذا تُرِكَ العصير الى ان يتحول كل سكرهِ الى كحل وغاز يبتدئ كحلهُ يتحول الى حامض خلّي بفعل نوع آخر من الجراثيم (١) يعيش على الكحل واكسيجين الهوآء وفي اثنآء معيشتهِ هذه يبدل في كل دقيقة من الكحل جوهرين من الهدروجين بجوهر من اكسيجين الهوآء وبذلك يتحوّل الكحل تدريجاً الى حامضٍ خلّي

ومتى تحوّل كل الكحل الى الحامض المذكور بحيث لا يبقى للجراثيم كحل تعيش فيهِ عادت تعيش على الحامضَ الخلي نفسه وعلى اكسيجين

---

(١) Mycaderma aceta

الهوآء فتحل الحامض الى مآء وغاز حامض الكربونيك

وهذا هو السرّ في وجوب سد اواني الخل لكيلا يدخل الهوآء باكسيجينه الى الجراثيم المذكورة فتعيش عليه وعلى الخل . ولذلك اذا بقي الخل معرضاً للهوآء زمناً خفّت حموضته تدريجاً الى ان تزول بالكلية ويصبح مآء وسخاً

اما هذه الجراثيم فعلى شكل 8 اي انها ذات خصور دقيقة تنقسم بها الى ازواج وفي كل طرف منها بُزَيرة وكثيراً ما تكون سلاسل طويلة واما الجراثيم المفردة منها فمتحركة

فترى مما تقدم ان الكحل هو ضلع من السكر كان متحداً مع غاز الحامض الكربونيك الذي هو ضلعه الاخرى وبفعل نوع خاص من الجراثيم البكتيرية افترقت الضلعان احداهما عن الاخرى فزال السكر ونشأ الكحل وغاز الحامض الكربونيك

لذلك يمكن استخراج الكحول من كل ما فيه مادة سكرية اذا تيسّر لتلك الجراثيم ان تعيش فيه بل يمكن استخراج الكحل من كل ما يحتوي على مادة قابلة التحول الى سكر كالنشآء فانهُ قابل التحول الى سكر بفعل الاختمار نفسه ولهذا يستخرج الكحل من الحبوب ذات المواد النشآئية كالشعير ونحوه فان النشآء الذي فيها يتحول بفعل الاختمار اولاً الى سكر ثم الى كحل (ستأتي البقية)

المحرّك الشمسي

ما برح اهل العلم منذ سنوات يحاولون استخدام حراة الشمس في مكان الفحم والحطب وسائر انواع الوقود وقد وجدوا اقرب ما يستعمل لذلك طريقة المرآة المحرقة المشهورة وهي مرآة مقعرة تجمع اشعة الشمس الى نقطة واحدة فينشأ عنها من الحرارة ما لا تضاهيهِ اعظم النيران الصناعية . قيل ومخترع هذه المرآة ارخميدس الفيلسوف اليوناني الشهير وبها احرق سفن الرومان عند حصارهم لمدينة سَرَقُوس سنة ٢١٣ قبل التاريخ الميلادي وقد استخدمها بعدهُ بروكلس فاحرق سفن ڤيتاليان حين حصارهِ للقسطنطينية سنة ٥١٥ للميلاد

والمرآئي الكبرى من هذا النوع تُصنع من مزيج معدني او من نحاسٍ اصفر مصقول او مطلي بالفضة غير انهُ للزيادة في قوتها على تعكيس الاشعة تتخذ غالباً من عدة مرآء صغيرة من الزجاج ذات سطوح مستوية يُحكَم تركيبها بحيث تجتمع الاشعة المنعكسة عنها الى محترَقٍ واحد قيل وكانت مرآة ارخميدس مركبة كذلك . وقد امتحن المتأخرون صنع هذه المرآئي واول مرآةٍ منها هي التي صنعها الاب كِرخَر اليسوعي من اهل القرن السابع عشر ركبها من خمسة ألواح من الزجاج فكان عنها حرارة شديدة تفعل على مسافة مئة قدم . ومنها المرآة التي صنعها شِرْنَوزَن في العهد المذكور وكانت من نحاس يبلغ غورها مترين و ٣٢ سنتيمتراً وفوّهتها متراً و ٧٤ سنتيمتراً فكانت تحرق الحطب في الحال وتذيب النحاس والفضة في

بضع دقائق . وجآء بعدهما بوفون فصنع مرآةً مركبةً من ٤٠ قطعةً من الزجاج ارتفاع كلٍّ منها ٦ قراريط في عرض ٨ فاحرق بها لوحاً من الزان القطراني على مسافة ٦٦ قدماً . ثم صنع مرآةً ركبها من ١٢٨ قطعة فاحرق لوحاً من الصنوبر القطراني على مسافة ١٥٠ قدماً . وصنع مرآةً اخرى من ٢٢٤ قطعة فاذاب صحفةً من الفضة على بعد ٤٠ قدماً ثم صعَّدها بخاراً

وكان غرضهم من صنع هذه المرآئي تحقيق ما رُوي في التاريخ عن مرآة ارخميدس لذهاب اكثر المحققين اذ ذاك الى انها من خرافات الاولين ولذلك اهملوها من زمنٍ بعيد ولم يعودوا يلتفتون اليها . غير انهم في هذه الايام تنبهوا لاستخدامها في وجوه الانتفاع فانشئت منذ مدةٍ في كاليفرنيا مرآةٌ من هذا النوع عظيمة الحجم تُرَى من مسافةٍ بعيدة اشبه بطاحونة هوآئية . وهي ذات جدارٍ مخروطيّ الشكل قطر قاعدتها الكبرى ١٠ امتار و٢٥ سنتيمتراً وقطر الصغرى ٤ امتار و ٥٠ سنتيمتراً وباطنها مركب من ١٧٨٨ مرآةً صغيرة وقد رُكّب على خطّ محورها الهندسيّ مِرجَلٌ من صفائح الفولاذ تنصبّ اليهِ جميع الاشعة المنعكسة عن المرآئي الصغرى . وهذا المرجل اشبه باسطوانة فارغة طولهُ ٤ امتار و ١٠ سنتيمترات يتصل بهِ من الاعلى والاسفل قضبان معدنية على شكل قضبان المظلة تمتدّ من كلٍّ من طرفيهِ الى طرفي جدار المرآة ووسعهُ ٤٥٠ لتراً من المآء ويفضل فيهِ فراغ للبخار يسع ٢٢٥ لتراً

ومعلومٌ ان هذه المرآة لا بدّ ان تكون على الدوام موجهةً الى الشمس وللوصول الى هذه الغاية جعلوا لها حاملاً يشبه حامل المنظار الفلكي المعروف

بالمنظار الاستوآئي تدور بهِ حول محورٍ مخصوص على وفاق حركة الشمس

فاذا اريد اغلآء المرجل جُعل في محترَق الاشعة فلا يمرّ عليهِ ربع ساعة حتى يبلغ ضغط البخار ١٠ كيلغرامات على كل سنتيمتر مربع . والبخار يندفع من المرجل الى الجهاز المحرّك في قناةٍ من الشبَه تتصل بقاعدة الجهاز فيُعمِل مضخّةً ترفع في الدقيقة ٦٣٠٠ لتر من المآء الى علوّ ٣ امتار و ٦٠ سنتيمتراً وهو عملٌ يقتضي من القوّة ما يعدل قوة اربعة افراس

ولما كانت الشمس في تلك الآفاق لا تكاد تحتجب لدوام الصحو فيها فان هذه الآلة تعمل كل يوم من لدن طلوع الشمس الى ما بعد غروبها بنصف ساعة فاذا قُرنت بمستودَعٍ كهربآئي يدّخر القوة الى حين الاقتضآء امكن ان تعمل نهاراً وليلاً بلا انقطاع

الملاحة الجوية

لا يخفى ان الذين زاولوا استنباط الآلات لركوب الجوّ كانوا فيها على مذهبين احدهما استخدام القوة الطبيعية اي ضغط الهوآء وهم اصحاب المناطيد والآخر استخدام القوة الصناعية وهم اصحاب الاجنحة او ما يقوم مقامها . والظاهر انهُ الى الآن لم يوفَّق احَد الفريقين الى ما يُعَدّ نجاحاً صحيحاً لان كلاًّ منهما لا يزال واقفاً دون الغاية فبقي لحلّ المسئلة ان يُتخذ طريقٌ وسط اي جامعٌ للطرفين بمعنى ان تُستخدَم المناطيد والاجنحة في وقتٍ واحد . وقد تمثل هذا الحل منذ سنوات لرجلٍ من علمآء الفرنسيس يقال لهُ المسيو فيرمين بوسون فاخترع آلةً هي وان لم تبلغ الى تمام الامنية

فالظاهر انها لا تبعد عن تحقيق هذا المقصد . وهي مؤلفة من عربةٍ ذات عجل لا تختلف كثيراً عن العربات المعروفة اذا شآء اجراها في الطريق فانطلقت بسهولة واذا شآء ان يرتفع عن اديم الارض ناط اليها منطاداً مخصوصاً فارتفعت في طبقات الهوآء . ومن خصائص هذا المنطاد ان كلاًّ من حجمهِ ومقدار الغاز الذي فيهِ لا يتغير ومهما اختلفت عليهِ كثافة الهوآء في صعودهِ ونزولهِ يكون ابداً موازناً لهُ فيعلو ويهبط على متن التيّار الهوآئي ويطير الى كل ناحيةٍ كما يشآء قائدهُ . والحركة في هذا الجهاز تتم بواسطة اجنحة مركبة في العربة وانما الغرض من المنطاد ان يخفف من ثقل الجهاز ويسهّل عمل المحرك . وهو اسطوانيّ الشكل يركَّب عمودياً في اعلى العربة ولهُ مفاصل يتحرك بها الى كل جهةٍ تبعاً لسرعة الآلة

وادقّ ما في هذا الاختراع ما ذُكر من ثبوت موازنة المنطاد لما حولهُ من الهوآء مهما اختلفت طبقاتهُ كثافةً وضغطاً وذلك انهُ ادخل في الطرف الاسفل من المنطاد نُفّاخةً (١) مملوءةً هوآء بعد ان شدَّ عليهِ عدة أُطُر من معدنٍ خفيف ليبقى ثابتاً على شكلٍ لا يتغير وجعل لهذه النفاخة فوّهةً مفتوحةً الى الخارج متصلة بالهوآء الجوّي . فاذا ارتفع المنطاد في الجوّ خفّ ضغط الهوآء عن جدرانهِ فيتمدد ما فيهِ من الغاز ويضغط على النفاخة فيتسرّب جانب من الهوآء الذي فيها على قدر الضغط الواقع عليها واذا هبط سفلاً واشتدّ ضغط الهوآء عليهِ يتقلص ما فيهِ من الغاز ويجتمع

(١) هي في الاصل هنة منتفخة تكون في بطن السمكة والمراد بها هنا منطاد صغير ينفخ ويجعل في باطن المنطاد القيّد · تعريب ballonnet

فتتمدد النفاخة بما يدخلها من الهوآء الخارجي وبهذه الطريقة تبقى الموازنة محفوظةً بين المنطاد وما يحيط بهِ من الجوّ اذ لا ينقص شيءٌ من حجمهِ ولا ثقلهِ وتستمرّ كثافتهُ ادنى قليلاً من كثافة الهوآء

اما الاجنحة فان المخترع عمد قبل صنعها الى تفقد حال الجناح في الطير فوجد بعد المراقبة ان الطير ذوات الاجنحة الكبيرة تضطرّ الى مقاومة عظيمة وجهدٍ شديد في النهوض والحركة فيلجئها ذلك الى ان تنحط من علوٍ الى سفل لتتخذ لها قوة على الطيران او ان تجري مسافةً ما فُويق وجه الارض وهي تضرب باجنحتها قبل ان تقدر على الارتفاع وبخلافها الطير ذوات الاجنحة الصغيرة فانها تنهض بسرعة وسهولة ٠ فتبين لهُ من ثمَّ ان الاجنحة الصغيرة اعون على الطيران من الكبيرة وهذا في رأيهِ احد ما اخطأ فيه مقلدو الطير باتخاذهم الاجنحة الكبيرة الواسعة ولذلك ارتأى ان تصغير الاجنحة مع زيادة عددها واحكام تركيبها يكون اسهل في الاستعمال واطوع في الحركة واقدر على مقاومة الرياح ٠ فركّب الى جوانب القفص الذي يستوي فيهِ الركاب ويوجد فيهِ المحرّك ثمانية اجنحة صغيرة بعضها فوق بعض على خطوطٍ منحرفة وهيأها على وجهٍ تكون بهِ حركتها اشبه بحركة جناح الطائر ويمكن بها الطيران صعوداً او هبوطاً او على اتجاهٍ افقي

وقد امتحن هذا الجهاز في اواخر السنة الماضية فركب وركب معهُ ستة اشخاص ثم أعمل المحرّك فشرعت الاجنحة تضرب الهوآء وارتفع الجهاز للحال بركبهِ وكان ثقلهُ مع ما فيهِ نحواً من ٦٠ كيلغراماً فقطع خمسة كيلو مترات بسرعة ٢٠ كيلو متراً في الساعة غير ان الرياح كانت

عنيفة جدًّا فلم يُطِل شوطهُ زيادةً على ذلك وفي عزمهِ ان يعيد هذا الامتحان في الفصل الحالي بعد ان يزيد قوة جهازهِ من ٤ افراس الى ١٦ فرساً وهو يرجو انهُ سيبلغ بهذا الاختراع غاية ما يتمثل في النفس من هذا المطلب الخطير

مُتَفَرِّقَات

الغبار في البحر — لا شك ان المطالع يعجب من هذا العنوان لغرابتهِ في بادي الرأي ولكن الامر مع ذلك لا ريب فيهِ فان الغبار يكثر في البحر الى حدٍ لا يصدَّق وقد اثبتت احدى المجلات الانكليزية فصلاً في هذا المعنى نعربهُ تفكهةً للقرآء قالت

كل من سافر مدةً في البحر سوآء كان في سفينةٍ تجارية ام شراعية يعلم انهُ في كل صباح قبل ان يُغسل سطح السفينة يوجد عليهِ مقدارٌ عظيم من الغبار مهما كان قد بولغ في غسلهِ في مسآء اليوم السابق

على ان مثل هذا قد لا يُستغرب كثيراً في البواخر التجارية التي يُحرق فيها في كل اربع وعشرين ساعة بضعة اوساقٍ من الفحم ويموج فيها عدد كبير من الناس فقد يسبق الى الظن ان الغبار متأتٍ عن هذين السببين ولكن الغرابة في السفن الشراعية التي لا يكون فيها ما يزيد على اثني عشر راكباً وتكون اقدامهم على الغالب عارية فانهُ لا يمكن ان يعلل وجود الغبار فيها بمثل ما ذُكر مع انهُ يوجد بكثرةٍ الى حدٍ يقضي بالعجب

بل الذي علم بالمراقبة ان الغبار في المراكب الشراعية يكون اكثر وقد ذكروا في علة ذلك ان السفن البخارية لسرعة جريها يسقط كثيرٌ من الدقائق المنتشرة فوقها في البحر وبخلاف ذلك السفن الشراعية فان اشرعتها بما هي عليهِ من الاتساع تمنع الغبار المتساقط عليها من التبدد فكأَنها تجمعهُ وتلقيهِ في السفينة

ومما يؤيد ما ذكر الامتحان الغريب الذي اجراهُ ربَّان احدى السفن الشراعية من الولايات المتحدة فانهُ عمد الى اختبار كمية الغبار الذي يجتمع على سطح سفينتهِ في مدة سفرهِ من نيويرك الى سان فرنشسكو وقد اقام في تلك السفرة سبعة وتسعين يوماً فامر بان يُكنس سطح السفينة كل يوم قبل غسلها في الصباح ثم في منتصف النهار وعند المسآء فلما كان في آخر تلك المدة وجد انهُ قد اجتمع لديهِ اربعة وعشرين برميلاً صغيراً ونصف برميل من الغبار الناعم . قال ووجود مثل هذا المقدار من الغبار لا يمكن ان يُعزى الى حطام الاشيآء التي كانت حواليهِ لان ما اجتمع منهُ في تلك المدة لو استمرّ يجمع على مدة عشر سنين لبلغ ما يزيد على ٩٠٠ برميل

وقد ذهب بعض الناس الى ان اصل هذا الغبار جواهر متساقطة من الفضآء الذي بين النجوم الاّ ان فحص المواد المتجمعة عنهُ ابطل هذا الزعم لانهُ وُجد فيها فتات من الجلد والفلين والخشب والياف النبات وذرّات من الحديد وغيرهِ من انواع المعادن وحبوب من الرمل والتراب الحرّ وبقايا اجسام لا يمكن ان تكون آتيةً من الفضآء النجمي ولا من نفس موجودات السفينة . وحينئذٍ فهي ولا ريب من الموادّ التي تحملها الرياح في ممرها على

وجه الارض اذ هي ابداً مشحونة بدقائق الاجسام المتحطمة من كل نوع فلا تزال ترسب منها على الدوام

استمطار غريب — من اغرب ما روى السياح في البلاد المتوحشة ما ذكرهُ السائح الانكليزي المستر رَلف مور وهو انهُ بينا كان في بانين بالقرب من خور غينيا رأى امرأةً مصلوبةً في الجوّ فسأل عن شأنها فقيل لهُ انها ضحية مرفوعة الى الآلهة استدراراً للغيث لان عندهم للجوّ والمطر آلهةً مخصوصة وقد وجدوا ان افضل ما يستعطفونها بهِ ان يصلبوا امرأةً ويتركوها مصلوبة في الجوّ الى ان تموت

قلنا وقريب من هذا ما كانت تفعلهُ العرب وذلك انهم كانوا اذا ارادوا الاستسقآء في سني الجدب عقدوا السلَع والعُشَر وهما نوعان من الشجر في اذناب البقر الوحشية وبين عراقيبها واطلقوا فيها النار ليرحمها الله وينزل المطر لاطفآء النار عنها . قال الشاعر وهو ودّاك الطائي

لا درَّ درُّ رجالٍ خاب سعيهمُ ... يستمطرون لدى الأزْمات بالعُشَرِ
اجاعلٌ انت بيقوراً مسلَّعةً ... ذريعةً لك بين الله والمطرِ (١)

---

(١) ادّعى صاحب القاموس ان في البيت الثاني من هذين البيتين تسعة اغلاط الا انهُ لم يبينها وقد رأينا فيها كلاماً لامام وقتهِ الشيخ عبد الرحمن العمادي الدمشقي اجاب به بعض السائلين فاحببنا نقلهُ في هذا الموضع افادةً للمستبصرين وهذا نصّ جوابهِ

اقول قد لاح لي في هذه الالفاظ تسعة وجوه خطرت بالبال والله اعلم بحقيقة الحال * الاول ادخال الهمزة على غير محل الانكار وهو جاعل والواجب ادخالها على

فوائد

حفظ تجليد الكتب — كثيراً ما يعرض للكتب القديمة ان ييبس جلدها ويتشقق او يتقشر فمنعاً لذلك يمكن تداركها بان يُفرك الجلد بشيء قليل من القازلين فانهُ يخرق نسيج الجلد ويفيدهُ ليناً ومرونةً ٠ ويمكن ان يُحفَظ تذهيب الورق بهذه الواسطة ولكنها اقل نفعاً منها في الجلد

اظهار الكتابة الممحوّة — لاظهار الكتابة التي قد انمحت لطول العهد يمدّ فوق الورق طبقة خفيفة من هدروكبريتور الامونياك وهي الطريقة المستعملة في اكثر المكاتب العمومية في اوربا لاظهار الكتابة في المخطوطات القديمة

المسلعة لانها محل الانكار * الثاني تقديم المسند الذي هو خلاف الاصل فلا يرتكب الا لسبب فكان الواجب تقديم المسلعة وادخال الهمزة عليها بان يقال أمسلعةً انت تجعل ذريعةً * الثالث ان ترتيب هذا البيت على ما قبلهُ يقتضي انهُ قصد الالتفات من الغيبة الى الخطاب قطعاً وانهُ بعد ان حكى عنهم حالتهم الشنيعة التفت الى خطابهم بالانكار ومواجهتهم بالتوبيخ حتى كانهم حاضرون يستمعون وحينئذٍ ففيهِ انهُ اخطأ في ايراد احد اللفظين بالجمع والآخر بالافراد ولا شك ان شرط الالتفات الاتحاد * الرابع ان الجاعلين هم العرب في الجاهلية الذين حكى عنهم في البيت الاول فلا وجه لتخصيص الواحد منهم بالانكار عليهِ دون البقية ٠ لا يقال هذا الوجه داخل في الذي قبلهُ لانا نقول هذا وارد بقطع النظر عن كون الكلام التفاتاً او غير التفات من حيث انهُ نسب امراً الى جماعة ثم خصص واحداً بالانكار من غير التفات الى الالتفات اصلاً * الخامس تنكير المسند اذ لا وجه لهُ مع تقدم العهد حيث علم ان مرادهُ

اسئلة واجوبتها

القدس — ارجو الجواب على هذه الاسئلة

(١) هل نصب المضارع واجب اذا وقع بعد فآء السبب في جواب النفي او الطلب

(٢) اذا وقع المضارع في جواب الطلب مجرداً من الفآء فهل يُجزم وجوباً وان جاز الرفع وان تقول قم نذهبُ مثلاً فما محل جملة نذهب

(٣) ما محل جملة هو راكب من قولنا جآء وهو راكبٌ زيدٌ . الظاهر انها حال لكن صرّح النحاة بوجوب تأخير الحال اذا جآءت جملةً مربوطةً بالواو فما قولكم في ذلك كلهِ ارجو الجواب ولكم الفضل

ا * ص

الجواب — اما نصب المضارع في الموضع الاول فالظاهر انهُ غير

بالجاعل هم الاناس المذكورون في البيت الاول فكيف ينكر المعهود فكان حق الكلام ان يقال أمسلعةً انتم الجاعلون * السادس البيقور اسم جمع كما في القاموس واسم الجمع وان كان يذكر و يؤنث لكن قال الرضي في بحث العدد ما محصلهُ ان اسم الجمع ان كان مختصاً بجمع المذكر كالرهط والنفر والقوم فانها بمعنى الرجال فيعطى حكم المذكر في التذكير فيقال تسعة رهط ولا يقال تسع رهط كما تقول تسعة رجال ولا تقول تسع رجال . وان كان مختصاً بالمؤنث فيعطى حكم جمع الاناث نحو ثلاث من المخاض لانها بمعنى حوامل النوق . وان احتملهما كالخيل والابل والغنم لانها تقع على الذكور والاناث فان نص على احد المحتملين فان الاعتبار بذلك النص . انتهى . فقد صرح بانهُ ان استعملت مراداً بها الذكور تعطى حكم الذكور وقد نص صاحب القاموس وغيرهُ على انهم كانوا يعلقون السلع على الثيران كما تقدم فبهذا الاعتبار لا يسوغ وصف البيقور

واجب بشرط ظهور المراد · قال الرضي في شرح الكافية وكان الاصل في جميع الافعال المنتصبة بعد فآء السببية الرفع على انها جملةٌ مستأنفة لان فآء السببية لا تعطف وجوباً ·· وقد يبقى ما بعد فآء السببية على رفعهِ قليلاً كقولهِ تعالى ولا يؤذَن لهم فيعتذرون وقولهِ الم تسأل الربع القوآءَ فينطقُ وقولهِ لم تدرِ ما جزعٌ عليك فتجزعُ جآء جميع هذا على الاصل ومعنى الرفع فيهِ كمعنى النصب ·· وجاز لك ان لا تصرف في المواضع المذكورة الى النصب اعتماداً على ظهور المعنى والاكثر الصرف اليهِ · انتهى المقصود منهُ باختصار وتمة الكلام هناك

واما جزم المضارع المجرد من الفآء في جواب الطلب فان قُصد بهِ الجزآء نحو اطلب تجد فهو واجب وان اريد بهِ الاستئناف نحو قم يدعوك

بالمسلعة * السابع ايراد المسلعة صفة جارية على موصوف مذكور والذي يظهر من عبارة صاحب الصحاح انها اسمٌ للبقر التي يعلق عليها السلع للاستمطار لا صفةٌ محضة حيث قال ومنهُ المسلعة الى آخره ولم يقل ومنهُ البقر المسلعة وقال السيوطي في شرح شواهد المغني نقلاً عن أئمة اللغة ان المسلعة ثيران وحش علق فيها السلع وحينئذٍ فلا تجري على موصوف كما ان لفظ الركب اسم لركبان الابل مشتق من الركوب ولم يستعمل جارياً على موصوف فلا يقال جآء رجالٌ ركبٌ بل جآء ركبٌ * الثامن ان المنصوص عليه في كتب اللغة ان الذريعة بمعنى الوسيلة لا غير وان الوسيلة مستعملة في التعدية بالى فاستعمال الذريعة هنا بدون الى مع لفظة بين مخالف لوضعها واستعمالها المنصوص عليهِ واما اللام فانها للاختصاص فلا دخل لها في التعدية كما يقال أجعل هذا الكتاب تحفة لك * التاسع قولهُ بين الله والمطر لا معنى لهُ والصواب بينك و بين الله لاجل المطر وذلك لانهم كانوا يشعلون النيران في السلع والعشر المعاقة على الثيران ليرحمها الله تعالى و ينزل المطر لاطفاء النار عنها كما تقدم * انتهى كلامهُ وفي بعض هذه الوجوه نظرٌ والله اعلم .

الامير وقولك قم نذهب على معنى اننا نذهب وجب الرفع وحينئذٍ فالجملة لا محل لها من الاعراب كسائر الجمل المستأنفة

واما قولنا جآء وهو راكبٌ زيدٌ فالجملة بعد الواو لا تكون الاّ حالاً وما ذكرتم من ان النحاة صرحوا بوجوب تأخير الحال اذا رُبطت بالواو فالمقصود بهِ تأخيرها عن عاملها لا عن صاحبها فلا يجوز ان يقال وهو راكبٌ جآء زيدٌ واما تقديمها على صاحبها كما في المثال فلا يمتنع كما تحققون ذلك بمراجعتهِ في مواضعهِ

القاهرة — ارجو الجواب على السؤالين الآتيين

(١) المشهور في كلا وكلتا انهما اسمان مفردان واذا أُخبر عنهما رُدَّ الضمير عليهما مفرداً ولكني رأيتهما في بعض المواضع مخبراً عنهما كما يُخبَر عن المثنى فهل يصح ذلك وان صح فما وجههُ

(٢) قرأت في كلام بعضهم « قد كان هذا الامر مشتركاً بيني وبين فلان » مع ان المعروف ان كلمة بين لا تكرَّر مع المعطوف فهل يُعَدّ هذا التركيب صحيحاً محمد عبد الحميد

الجواب — اما المسئلة الاولى فان كلا وكلتا لفظهما مفرد ومعناهما مثنى وحينئذٍ فلنا ان نراعي اللفظ فنخبر عنهما بالافراد او المعنى فنخبر عنهما بالتثنية وقد اجتمع الوجهان في قول الفرزدق

كلاهما حين جدّ الجري بينهما قد اقلعا وكلا انفيهما رابِ

واما المسئلة الثانية فانما كرّر بين في المثال الذي ذكرتموهُ لمكان

الضمير لان الضمير المجرور اذا عُطف عليهِ لزمت اعادة الجارّ سوآء كان حرفاً نحو مررت بك وبزيد ام اسماً نحو المال بينك وبين زيد . وكذا اذا عُطِف الضمير على المجرور نحو مررت بزيدٍ وبك والمال بين زيدٍ وبينك . واما اذا كان الاسمان ظاهرين نحو المال بين زيدٍ وعمروٍ فلا وجه لاعادة الجارّ الاّ في مواضع مخصوصة ليس هنا محل الكلام عليها

انّا لله وانّا اليهِ راجعون

كُتب على الوطن العربيّ ان لا يكاد ينبت في رياضهِ غصن ادب او يطلع في سمآئهِ هلال فضل الا عاجلتهُ يد المنيّة فاجتثّتهُ وهو في إبّان الاقتبال او عدَت عليهِ الاقدار فرمتهُ بالخسوف قبل الكمال فقد نُعي الينا من سوريا الفتى الاديب بل غُرّة الفتيان المرحوم سبع شميّل احد نوابغ شبان العصر في الذكآء والعرفان توفاهُ الله اليهِ في قرية كفرشيما من سفح جبل لبنان على إثر دآء لم يعمل فيهِ دوآء ولم يُغنِ منهُ تبديل المآء والهوآء فقضى نحبهُ عن ثلاثٍ وثلاثين سنةً انفق جلها في معاناة الدرس والطلب والانقطاع الى خدمة العلم والادب وكان رحمهُ الله كاتباً محسناً وشاعراً متفنناً قضى عدةً من سنيهِ في كتابة البصير وغيرهِ من الجرائد فترك فيها من آثار اقلامهِ ما يُعَدّ من انفس القلائد الى ان اجاب دعوة ربهِ في السادس من هذا الشهر فراح مأسوفاً على شبابهِ مبكيّاً على فضائلهِ وآدابهِ عزّى الله آلهُ واصدقآءهُ على فقدهِ وسقى بصيّب الرحمة والرضوان جوانب لحدهِ

فكاهات

رواية

الشرف الصحيح (١)

كان في احدى مدارس البنات الكلية في باريز فتاةٌ من بنات الأُسَر الشريفة تدعى ماري وكان ابوها البارون اوكتاف كولان من كبار المتمولين قد اشتهر بالاستقامة وحسن السيرة وكان لهُ غير ماري ولدٌ آخر اسمهُ فريدريك فتوفيت والدتهما وهما طفلان فاعتنى بتربيتهما وتثقيفهما على حب الفضيلة وكرم الاخلاق . وفي بدء الرواية كان فريدريك قد انهى دروسهُ ودخل في اشغال التجارة مع ابيهِ واما ماري فكانت لم تزل في المدرسة تلتقط من درر العلوم ما تحلي بهِ جيدها فوق ما جملها بهِ المبدع من حسن الخَلق والخُلق حتى اصبحت وهي في سن السابعة عشرة آيةً في الجمال والكمال

وكان لماري صديقةٌ من بنات المدرسة يقال لها كلارا وهي ابنة قوم متوسطي الحال عليها مسحةٌ من الجمال وكانت كلارا ترى ما زينت بهِ ماري من الجمال والذكاء وسموّ المقام فتحترق حسداً لها الا انها كانت تتظاهر لها بالصداقة والمصافاة فكانت ماري كثيراً ما تخلو بها وتفضي اليها باسرارها ثقةً منها بصحة مودتها . واتفق في تلك السنة ان ماري عند ما رجعت الى

---

(١) محصلة عن الفرنسوية بقلم السيدة لبيبة هاشم

بيت ابيها تقضي فيهِ زمن العطلة خطبها ابن عمٍّ لها يقال لهُ البارون فرنسوا كولان فلما عادت الى المدرسة كان في جملة ما اخبرت بهِ صديقتها كلارا حديث الخطبة فبلغ الحسد من كلارا درجة الجنون وانصرفت الى غرفتها والغيرة تنهش فؤادها وقد اضمرت ان تنصب لها من حبائل المكر ما يحرمها سعادة الحياة ويكدر عليها ما هي فيهِ من موارد الثروة والنعيم

وبعد ان مرت تلك السنة وأزف الوقت المعين لتوزيع الشهادات زينت جدران المدرسة بانواع الزهور وتوافد المدعوون فدخلت التلميذات صفوفاً واعتلى المنبر اربع عشرة منهنَّ مرتديات بالحلل البيضاء وكانت ماري من جملتهنَّ فتلت خطاباً وجيزاً اسرت بهِ قلوب السامعين وادهشتهم بحسن معانيها وعذوبة الفاظها وخرج الجميع وهم يثنون على براعتها ويتحدثون بجمالها الفتان

وكان اشد الناس استحساناً لها فتىً حرفتهُ الحدادة يدعى ألفُنس جميل الطلعة حسن البزّة عظيم الثروة لم يرث شيئاً عن والديهِ سوى الصفات الحسنة والادب الوافر فاحترف صناعة الحديد وبرع فيها فربح الارباح الطائلة ولم يبلغ سن الثلاثين حتى صارت ثروتهُ تعدّ بالملايين فاحب ماري وحدثتهُ نفسهُ بطلب الاقتران بها

وعادت ماري الى منزلها وليس ما يشغلها سوى ذكر خطيبها البارون فرنسوا الذي لم يكن يفتر عن التقرب منها والتحبب اليها حتى امتلك قلبها واستولى على عواطفها . ولبثا على تلك الحال مدة ثلاثة اشهر يترقبان السعادة المقبلة

غير انهُ بعد مضي تلك المدة لحظت ماري من خطيبها بعض الفتور اذ اصبحت زيارتهُ نادرة وقصيرة لا تفتح لها مجالاً للعتاب ولا باباً للسؤال

فضاق صدرها وتعاظمت همومها ولا سيما انها رأت والدها واخاها منهمكين بامور شخصية غير مباليين بامرها فانفردت بهمّها تقاسي اشد العذاب

وفي احد الايام دخل والدها فرآها مندّاة الخدّ محمرّة الجفن فضمها الى صدرهِ وقبلها بعد ان سألها عن سبب بكآئها فانطرحت على صدرهِ تذرف الدموع واجابتـهُ بصوت ارجفهُ التأثر والانفعال اني سيئة البخت يا ابتاه . فقال اني شاعرٌ بما انتِ فيهِ يا عزيزتي فتجلدي واعلمي ان الذي سبب لكِ هذه الاكدار هو غير اهلٍ لكِ فانزعي ذكرهُ من فؤادكِ ولديَّ من هو اليق بكِ منهُ وهو شابٌّ حسن الخلال فيهِ من مكارم الاخلاق وسامي الصفات ما يعادل شرف اصلكِ وعريق نسبكِ وهو الذي رأيتهِ هنا منذ يومين وعرّفتكِ بهِ باسم ألفنس الحداد فانهُ احبكِ حبًّا لا مزيد عليهِ وجآءني بالامس طالباً يدكِ فاستمهلتهُ ريثما استطلع رأيكِ في ذلك

فأفلتت من بين ذراعيه ورجعت خطوتين الى الورآء واجابتهُ متعجبة ماذا تقول يا أبتِ . انا من سلالة البارون كولان انا ابنة اوكتاف أأخون ودي وانكث عهدي وفوق ذلك تريد ان اقترن بصانعٍ خاملٍ وضيع . اني افضل التبتل على ان اكون امرأة رجلٍ حداد

***

وبعد مضي اسبوع على هذه الحادثة احتفل البارون بعيد ابنتهِ وكانت قد اتمت سنتها التاسعة عشرة وقبل ان يفد المدعوون اتت الخادمة تعلم ماري بزيارة صديقتها كلارا فابتهجت لهذه البشرى واسرعت بعد ان اتمت زينتها لمعانقة صديقتها ورصيفتها في المدرسة واحتفت بها كثيراً ورغبت اليها

ان تقضي السهرة عندها فقبلت دعوتها. ولما اقبل المدعوون انطلقتا الى غرفة الاستقبال وجلستا على حدة تتباثان الاشواق وتروي كلٌّ منهما للاخرى ما حدث لها مدة الفراق واخيراً انتهى الحديث الى كلارا فاخبرت ماري انها خُطبت الى احد الاشراف فسُرَّت ماري وهنأتها بذلك ثم سألتها عن اسم خطيبها فاجابتها « البارون فرنسوا ». ولوأن صاعقةً انقضَّت على رأس ماري حينئذٍ لكان وقعها اخف فاصفرّ وجهها وارتخت عزائمها فاتكأت على كرسيها وتلك تنظر اليها نظر الظافر اذ يذوق حلاوة الانتصار على خصمهِ . وادركت ماري ما في ضمير كلارا فتجلدت ولم تفه ببنت شفه . وفي تلك الساعة دخل البارون فرنسوا وكان سبب قدومهِ انهُ ذهب لزيارة خطيبتهِ الجديدة كلارا فقيل لهُ انها انطلقت لزيارة صديقتها ماري فاسرع في اثرها حاسباً لالتقائهما الف حساب . ولما وقع نظرهُ على الفتاتين ادرك المغزى من حديثهما واتضح لهُ من اصفرار ماري وعبوستها انها علمت بغدرهِ وخيانتهِ فتقدم منكس الرأس وجثا على قدميها يطلب الصفح والمغفرة . فلم تبالِ بهِ بل نهضت وامرّت طرفها بين الحضور حتى عاينت الحداد فسارت نحوهُ بسكون وقالت لهُ لقد علمت من والدي برغبتك في الاقتران بي فهاءنذا اصرح لك برضايَ واختياري اياك خطيباً لي وهاك يدي علامة لذلك . فاجابها بما اكد لها حبهُ وشوقهُ الى الحصول عليها ثم قبل يدها وسارت واياهُ الى حيث كان البارون وصديقتها فعرّفتهما بخطيبها الجديد ثم جلست شامخة كانها لم تتأثر مما حدث او كانهُ لم يحدث شيء

فبُهت البارون وتنبهت فيهِ عوامل الغيرة لانهُ كان لم يزل يحب ماري

حباً عظيماً ولم يزدهُ البعد عنها والتقرب من فتاةٍ لا يهواها الاَّ شوقاً وهياماً.
وكان السبب الذي من اجلهِ اضطرَّ الى العدول عنها هو انهُ خسر جميع ثروتهِ بالمقامرة وعلمت كلارا بامرهِ اذ كانت لا تفتر عن استطلاع احوالهِ فاوسعت لهُ سبيلاً للاستدانة من ابيها الذي كان قد ساعدهُ الحظ مدة السنتين الاخيرتين فربح باسهم ابتاعها من بعض الشركات التجارية ارباحاً طائلة ورأى ابنتهُ تميل الى الاقتران باحد الشرفآء وكان هو نفسهُ يتمنى ذلك ايضاً فاجاب توسلات ابنتهِ وبذل للبارون كل مساعدة وجعل يمدهُ بالمال من وقت الى آخر حتى صارت لهُ عليهِ ديون طائلة وتعذر عليهِ قضآؤها فاصبح ملك يدهِ وطوع امرهِ لان كلمةً منه كانت تكفي لان تشهر افلاسهُ. وحينئذٍ عرض عليهِ ان يتنازل لهُ عن القيمة بتمامها بل ينقدهُ اضعافها ان هو رضي بمصاهرتهِ فاضطر ان يجيب طلبهُ ويترك خطيبتهُ ويحنث بعهودهِ

وبعد ايام عُقد لكلٍّ من الخطيبين على خطيبتهِ وبذلك تم لكلارا ما تشتهي من لقب بارونة ودخلت ماري بيت زوجها الحداد آسفة حزينة. ولم يكن زوجها يجهل اسباب حزنها ونفورها منهُ ولكنهُ علل النفس بنيل رضاها متى رأت منهُ من حسن المعاملة والاحتفآء ما ينسيها حبيبها وعز افتخارها

غير ان ماري لم تمهلهُ ان يتلذذ بتلك الاماني فلما انقضت حفلة العرس قالت لهُ انك تعلم ولا ريب باني كنت مخطوبة الى ابن عمي البارون فرنسوا وانهُ غدر بي لسبب لا اعلمهُ فقصدت ان انتقم منهُ واكيل لهُ صاعاً بصاع فاصطفيتك ممن حضر وجعلتك آلة لانتقامي ولا اخال اني جنيت عليك فانك قد بدأت بطلبي قرينةً لك دون سابق حبٍّ او عهدٍ بيننا مما دلني على

كونك راغباً في ثروتي وانا اهبها لك عن طيب خاطر ولا اريد منك مقابلة لذلك سوى ان تعتبرني غريبة في منزلك وان لا يكون بيننا شيء من العلائق والصـلات فاني لا اميل الى الخداع والمماذقة بل اقول لك صريحاً اني لا احبك واخالك تأبى ان تكون زوجاً لأمرأةٍ لاتهواك . فحاول الفتى اقناعها وتغيير عزمها فما كان ذلك الاّ ليزيدها صلابةً ونفارًا واخيراً قال لها انكِ ستنالين مطلوبكِ كما تشآئين ولكن اعلمي انهُ يأتي يومٌ تقرعين فيهِ سن الندم وتذرفين دموع التوسلات في حين لا ينفع الندم ولا يردّ ما فات

***

ومرت سنة على اقترانهما دون ان يطلع على اسرار حياتهما احد فكانت ماري منفردة في الطبقة العليا من القصر وزوجها في الطبقة السفلى لا يلتقيان الاّ اذا اضطرهما الحال بوجود زائرين . وكان لزوجها شقيقة بارعة في الجمال تدعى بلانش تبلغ السادسة عشرة من العمر فكانت تأنس بها ماري وتتلذذ بعشرتها لانها كانت على جانب عظيم من اللطف والتهذيب . وكان اخو ماري في اثنآء تردده ِ على شقيقته ِ يقابل بلانش ويجالسها فأثر فيه جمالها وكمال اوصافها حتى هام بها واطلع شقيقتهُ على حبه ِ لبلانش وسألها ان تخاطب زوجها وتقنعهُ بقبوله ِ خطيباً لشقيقته ِ . فحارت ماري في الامر ولم تدرِ كيف تفاتح زوجها الخطاب مع انقطاع الحديث بينهما فلبثت بين تردد ومماطلة الى ان مرّت السنة على اقترانهما فاحتفل زوجها الحداد بليلة شائقة تذكاراً لمرور اول عام لزواجه ِ اتباعاً لعادات قومه ِ ودفعاً للظنون والاقاويل

وكانت البارونة كلارا تزورهما من وقت الى آخر ولا تنفك في اثنآء

زيارتها عن المباهاة بما هي عليهِ من الرفاهية ورفعة المقام كانها تظهر لماري خمولها وحقارتها امام مجدها الرفيع وعزها المنيع ٠ ولم تكن ماري تبالي بثرثرتها او تظهر استيآءً من زياراتها فزاد ذلك في حنق البارونة وجعلت تبحث عن وسائل أخرى تكيدها بها ومذ ذاك شرعت تنصب الاشراك لزوجها بغية ان يسقط في فخ هواها مستعملةً لذلك ما امكنها من الحركات والنظرات المؤثرة مما نبَّه غيرة ماري واثار غيظها فعزمت ان تجعل لغرورها حدًّا لانهُ لم يعد بها قوة على الصبر فباتت تترقب الفرص لذلك

وفي ليلة الحفلة دخلت ماري الى غرفة الاستقبال حيث كان زوجها قد سبقها وجلسا ينتظران وفود المدعوين ٠ وفي تلك الفترة قالت ماري لزوجها اروم مشافهتك بامرٍ ذي بال٠ فقال تكلمي يا سيدتي فاني مستعدٌّ لسماعكِ ٠ قالت ان حديثي يتعلق بشخصين يهمنا امرهما وقد تتوقف سعادتهما على كلمة منك ٠ وذلك ان اخي يودّ الاقتران بشقيقتك بلانش وهما يحبان بعضهما بعضاً حباً شديداً ويريان في اتحادهما كل الهنآء والسعادة فاسألك يا سيدي ان توافق على قرانهما ولك منهما ومني الشكر الجزيل٠ فقال اني آسف لكوني مضطرًّا ان ارفض طلبكِ يا سيدتي فيكفي ما انا فيهِ من الشقآء بتقربي من أُسرة كولان فلا اريد ان تنال شقيقتي نصيباً منهُ ٠ وبهذا الجواب أُفحمت ماري ولم تجد وجهاً للجواب او الاعتراض فخرجت مبتئسة تندب سوء حظ اخيها

ثم توافد المدعوون وفي جملتهم البارون وقرينتهُ كلارا وقد دخلت تتهادى كالطاووس وتهز كتفيها العاريتين زهواً وافتخاراً وقد جعلت على

هامتها من الحلى الثمينة ما يستلفت الابصار. فقابلها صاحب الدعوة بما لاق من الاكرام وفسح لها مكاناً في صدر الردهة حيث جلست ودعتهُ الى الجلوس بجانبها وما زالت تورد على مسامعهِ الاحاديث المتواصلة والاخبار المتتابعة بحيث لم تبقِ لهُ مجالاً للانفصال عنها فمضى قسم عظيم من السهرة وهما على تلك الحال وماري تلحظهما من بعيد بعين قد ادمتها الغيرة ونفسٍ ازهقها السكوت واخيراً نهضا للرقص وامتزجا بالمتخاصرين فلم يبقَ بوسع ماري ان تصبر فانطلقت الى ابن عمها البارون وأمرتهُ ان يخرج مع امرأتهِ من منزلها. فلم ينبس البارون بكلمة بل استدعى زوجتهُ والحداد واعاد عليهما كلمات ماري ثم سأل الحداد بصفة كونهِ رب المنزل هل يوافق على مقال زوجتهِ ويسمح باهانتها لهما على هذه الصورة. فاجابهُ ان المنزل يختص بقرينتي وهي صاحبة السيادة والحكم فيهِ دون سواها فليس لي ان اعترضها في شيء. فاجابهُ البارون بحدة اني اعتبر قولك اهانة لي لا يمحوها الاَّ الدم. فقال ما عليك الاَّ تعيين مكان المبارزة ووقتها واختيار السلاح. قال غداً الساعة السادسة في غابة بولونيا ونستعمل الغدارة لانها اسرع من غيرها في اطفآء الغليل. قال ذلك وخرج مع زوجتهِ مُغضَبَين لا يلويان على شيء وعاد الحداد الى مدعوّيهِ يحدثهم باشاً كان لم يحدث شيء

اما ماري فكانت مضطربة الى حد انها لم تتمكن من اخفآء ضمائرها فانفردت في احدى الغرف تعيد في ذهنها ما جرى فشقَّ عليها ما سيحصل من المبارزة بين زوجها وابن عمها بسببها ولكنها سُرَّت بما نالت بواسطة زوجها من قهر عدوّتها وطردها من منزلها كما تطرد الكلاب

وبينا هي كذلك اذ دخل اخوها فريدريك وسألها عما كان من زوجها في شأنهِ . فاطرقت بنظرها ولم تحِرْ جواباً فكرّر عليها السؤال وقد قلق بالهُ لما رأى من انقلاب هيئة شقيقتهِ وتنهدها العميق فقالت لهُ تجلد يا عزيزي ولا تدع الغمّ يتغلب على قلبك فانك تجد احسن من بلانش اضعافاً. فما كانت كلماتها الا لتزيد آلامهُ ولوعتهُ فهبّ من مكانهِ آسفاً حزيناً وجعل يخطر في الغرفة طولاً وعرضاً وعيناهُ مغرورقتان بالدموع . ثم التفت الى الخارج فرأى حبيبتهُ تمشي بين الجمع المحتشد وعيناها تبحثان في جميع الجهات كانها تنشد ضالة فقال اوّاه يا بلانش يا حبيبتي لقد فقدتكِ الى الابد ولم يبقَ لي في الحياة مطمع وماذا عسى ان ارجو بعد ضياع الثروة والشهرة والرفعة والحبيبة وكل ما تعتزُّ بهِ النفس ويبتهج بهِ الفؤاد

فهبت ماري من مكانها مذعورة وقالت ماذا تعني بضياع الثروة . فارتعش فريدريك كانهُ قد مسّهُ سلك كهربائي وندم على ما صدر منهُ من الكلام عن غير انتباه واراد ان يموّه عليها بالحديث فلم يجز عليها تمويههُ وألحت عليهِ ان يصدُقها الخبر فاجاب طلبتها وجلس واياها متحاذيين ثم قال

اعلمي يا شقيقتي اننا فقدنا ثروتنا بتمامها لان والدنا خسر خسارة فادحة في اسهم اشتراها من شركة بناما في العام الماضي قبيل زواجكِ وقد بذل كل ما كان عندهُ من الملايين فلم تكن كافية لسدّ الدين فكاد يسقط اسمهُ ويشتهر افلاسهُ لو لم يتداركهُ زوجكِ بالمساعدة المالية فوفى ما كان باقياً عليهِ من الديون وحفظ اسم اسرتنا من السقوط . فقالت وهل كان ذلك المبلغ يربو على البائنة (الدوطة) التي اخذها عند زفافي . فهز رأسهُ وقال

وأي بائنة ... انهُ لم يأخذ شيئاً من المال بل لم يتقدم لطلبكِ الاّ بعد علمهِ بما صارت اليهِ حالنا من الفاقة فاقترن بكِ فقيرة ودفع نفقات جهازكِ وما زال يشملنا باحسانهِ حتى اصبحنا السنةً تنطق بشكرهِ ولم نكتم عنكِ هذه الامور الاّ مخافة ان نحزنكِ على غير طائل

عندئذٍ جمد الدم في عروق ماري وتصبب العرق من جبينها وحاولت الكلام فلم تستطع ثم سقطت الى الارض مغمًى عليها فاسندها اخوها الى صدرهِ ودعا زوجها لمساعدتهِ على تنبيهها فاسرع الفتى وبذل الجهد في معالجتها بالمآء والارواح العطرية الى ان استفاقت وللحال اسرع بالخروج خوف ان يثقل عليها وجودهُ . ولم تكن تلك اول مرَّة اظهر عنايتهُ بها بل كثيراً ما خدمها بنفسهِ حينما يلم بصحتها انحراف ولطالما قضى ليالي وهو ساهرٌ بقرب سريرها يراقب احوال المرض ويعاون الممرّضة لها وحين تعود اليها العافية يتوارى من امامها دون ان تدري بحضورهِ

وبعد ان استراحت قليلاً صعدت الى مخدعها متكئةً على ذراع شقيقها واعتذر زوجها الى مدعوّيهِ عن عدم حضورها لانحراف صحتها وعند الساعة الثانية بعد نصف الليل ودع القوم وانصرفوا شاكرين

ودخل الحداد غرفتهُ فجلس على متكأ يفكر في امر المبارزة وبودّهِ لو يقابل قرينتهُ قبل ذلك فيُظهر لها فساد اعتقادها فيهِ ويبثها حبهُ ويؤكد لها اخلاصهُ اذ كان يخشى ان يُقتل بيد خصمهِ فلا يعود يراها فيما بعد . وهكذا تمكنت منهُ تلك الافكار وقويت فيهِ عاطفة الحب فصمم على مفاتحتها صباحاً في الامر ثم جلس الى مائدتهِ يكتب وصيتهُ الاخيرة فخصّ

قرينته بكافة امواله ما عدا مبلغاً زهيداً عينهُ لشقيقته بلانش . ولما انتهى من تلك الاسطر سمع صوت خطوات ماري تذهب وتجيء في مخدعها وكان فوق مخدعه تماماً فعلم انها لم تزل يقظى ولحظ من تمشيها انها مضطربة الافكار لا تستقرّ على حال

وبالحقيقة ان ماري لم يغمض لها جفن كل ذلك الليل بعد الذي سمعته من اخيها وما زالت تردد كلامه في ذهنها متعجبة من معاملة زوجها وكتمانه الحقيقة عنها مع كل ما ابدت له من الجفآء والاحتقار فتبدّل اعتقادها به وتأكدت لديها رفعة منزلته وعزة نفسه فعزمت على ان تسير اليه وتنطرح على قدميه تشكره على حسن فعاله وتطلب منه صفحاً. غير انها لم تبلغ الردهة الخارجية حتى عادت القهقرى وجعلت تسير في مخدعها ذهاباً واياباً وتارة تقف وطوراً تجلس واخيراً رأت أن لا بدّ من ذهابها اليه في الحال قبل ان يدنو ميعاد المبارزة فشددت عزيمتها ونزلت الى الطبقة السفلى واقتربت من مخدعه ولكنها لم ترفع يدها لقرع الباب حتى خارت قواها وتخاذلت ركبتاها فكادت تسقط الى الارض ولبثت هنيهةً وهي تذرف العبرات واخيراً رجعت أدراجها اذ لم تقوَ على الدخول . وسمع الفنس صوت خطواتها وشعر باقترابها من باب غرفته فوقف ينتظر قدومها وقد خفق قلبه تأثراً وانفعالاً ولكن ما عتم ان خابت آماله وسمعها عادت من حيث اتت فتأوّه حزناً وجعل يودّعها عن بعدٍ بكلمات يرقّ لسماعها الجلمود ثم تقلد سلاحه ونظر الى ساعته فاذا هي الساعة الخامسة وحينئذٍ سمع قرعاً على الباب ففتحه واذا باحدى خادمات ماري تدعوه لمقابلتها . فصعد اليها

ثابت الجأش ولما التقت العين بالعين لحظ كلٌّ منهما اصفرار وجه الآخر واثر الدمع في عينيه . فسألها عما تريد ولما همَّت ان تجيبهُ خنقتها العبرات فجثت على قدميهِ طالبةً صفحاً فجثا الى جانبها وطوَّقها بذراعيهِ ولبثا حيناً على تلك الحال لا يُسمع منهما سوى زفير وشهيق واخيراً اطلعتهُ ماري على كل ما سمعتهُ من اخيها اتفاقاً واظهرت لهُ ندمها على ما فات ووعدتهُ بالعدول عن خطتها الماضية . فشكرها وكفكف دموعها بلطيف عباراتهِ ثم همَّ بالانصراف اذ سمع صوت الشاهدين وقد حضرا لمرافقتهِ . فتمسكت باذيالهِ وجعلت تتوسل اليهِ في العدول عن المبارزة فاقنعها بوجوبها حفظاً لكرامتهِ وانجازاً لوعده والا فيعدّ نذلاً جباناً فتركتهُ مضطرةً

وعند حلول الساعة السادسة التقى الخصمان في ساحة القتال وصوَّب كلٌّ منهما غدارتهُ نحو خصمه ثم اعطيت الاشارة من احد الشهود فاطلق الخصمان غدارتيهما في آنٍ واحد وللحال علا صوت ماري متألمةً فنظرا واذا بها واقفة بينهما رافعة يدها وقد اخترقتها رصاصة من غدارة ابن عمها . فابطلا النزال واسرعا اليها متأثرين مما اصابها ولا سيما زوجها الذي ذاب قلبهُ التياعاً وتأثراً اذ رآها خاطرت بنفسها لتقيهُ رصاص خصمهِ ثم هدأ اضطرابهما لما اعلمهما الطبيب بعدم وجود خطرٍ عليها

فاحتملوها وعادوا جميعاً وتصافح الخصمان وزالت من قلبيهما الضغينة وبعد ايام شفيت ماري ورضي زوجها بزفاف شقيقتهِ الى اخيها وعاشوا جميعاً بالصفاء والهناء